المحاضرة الخامسة:

خلافة عمر بن الخطاب (13 - 24 هـ)

أولا: التعريف بالخليفة عمر بن الخطاب (ثاني خليفة للمسلمين)

1.نسبه وصفته وإسلامه: هو عمر بن الخطاب بن نُفيل بن عبد العُزى بن رباح، أسلم في العام الخامس من البعثة، وعمره سبع وعشرون سنة، بعد أربعين رجلا وإحدى عشرة امرأة أسلموا قبله، وكان قبل إسلامه معاديًا للإسلام شديدًا في عداوته، لكن الله شرح صدره للإسلام استجابة لدعاء النبي صلى الله عليه وسلم له: «اللهم أعزّ الإسلام بعمر بن الخطاب».

وعُرف عمر بشخصية قوية وإرادة لا تلين، وحزم وعزم في الأمور، وهيبة في القلوب، وكان سفير قريش في الجاهلية، وهي مهمة تحتاج إلى علم وعقل، وكياسة وحسن تصرف. فعمل في بداية نشأته بالرعي، ثم عمل في التجارة إلى الشام وإلى اليمن، وكان يحرص على مقابلة ذوي الشأن في تلك البلاد؛ ليزداد علمًا وخبرة بالحياة، وكان واحدًا من سبعة عشر رجلا من قريش يعرفون القراءة والكتابة في مكة. واشتهر عمر أنه كان قوي البنية، طويل القامة، إذا مشى بين الناس أشرف عليهم كأنه راكب على دابته، أبيض اللون تعلوه حمرة، جهوري الصوت، قليل الضحك.أما صفاته الأخلاقية فهي: الإحساس الكامل بالمسئولية، والشدة والفراسة، والعدل والهيبة.

2.عُمَر والرسول صلى الله عليه وسلم: أخذ عمر منذ أن أسلم المكانة التالية لمكانة أبي بكر الصديق عند النبي صلى الله عليه وسلم، لصفاته العالية التي سبق أن ذكرنا بعضها...وعلى أية حال فإن أخلاق «عمر» وصفاته مهما تكن لم تكن لتبلغ به ما بلغ من المكانة العالية والقدر الرفيع إلا بإسلامه وبصلته برسول الله صلى الله عليه وسلم، الذى تعهده بالتربية والرعاية، وأفسح لمواهبه أن تنطلق إلى أفاق عالية، لتؤدي دورها الخلاق لا في تاريخ الإسلام فحسب، بل في تاريخ البشرية، وليكون صاحبها واحدًا من عظماء الدنيا، وقد وضعه الكاتب الأمريكي «مايكل هارت» بين الخالدين المائة في التاريخ الإنساني كله.

ومنذ أن أسلم عمر وهو من أكثر الصحابة ملازمة للنبي صلى الله عليه وسلم، حتى إن الصحابة أطلقوا عليه وعلى أبي بكر الصديق: (وزيريّ محمد). واشتهر عمر دون غيره من الصحابة بمواقف كثيرة، كان يناقش النبي صلى الله عليه وسلم فيها ويعترض عليه في صراحة، مثل: موقفه من أسرى بدر، و صلح الحديبية والصلاة على عبد الله بن أبي بن سلول رأس النفاق، ولم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يضيق بذلك، بل يسمع برحابة صدر وسعة أفق، ويشجع عمر وغيره على إبداء آرائهم دون خوف أو وجل، يعلمهم بذلك حرية الرأي، والمشاركة في صنع القرار. وكثير من تلك الآراء التي عارض فيها النبي صلى الله عليه وسلم نزل القرآن مؤيدًا لها لفرط إخلاصه لدينه، وشفافية روحه، وقد عدَّ العلماء نحو عشرين موقفًا من هذا القبيل منها: تحريم الخمر، وضرب الحجاب على زوجات النبي صلى الله عليه وسلم .قال صلى الله عليه وسلم في حقّه: "**إنّ الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه**".

3.توليه الخلافة: أراد الصديق أبو بكر أن يختار المسلمون خليفتهم بأنفسهم دون قيد، وبإرادتهم الحرة بلا تدخل، فقال لهم وهو على فراش المرض: «إني قد نزل بي ما ترون، ولا أظنني إلا ميتًا لما بي من المرض، وقد أطلق الله أيمانكم من بيعتي، وحلَّ عنكم عقدتي، وردّ عليكم أمركم، فأمّروا عليكم من أحببتم، فإنكم إن أمّرتم في حياة مني كان أجدر ألا تختلفوا بعدي » .

لكنهم طلبوا منه أن يرشح لهم من يراه أهلا لتولى الخلافة بعده، وأقدر على تحمل تبعاتها الجسام فقبل ذلك، وطلب منهم مهلة حتى ينظر لله ولدينه ولعباده، وبعد تفكير عميق، واستشارة لكبار الصحابة مثل: عثمان بن عفان و علي بن أبي طالب وعبدالرحمن بن عوف.. استقر رأيه على عمر بن الخطاب. ولم يعترض على ترشيح عمر للخلافة إلا عدد قليل من كبار الصحابة، وعللوا ذلك بغلظته وشدته، لكن أبا بكر طمأنهم وبين لهم أن ما يجدونه من شدته إنما هو لله وفي الله، وإنه يشتد لأنه يراني أحيانًا لينًا، حتى يحدث نوعًا من التعادل، وأنه لو أفضى الأمر – أي الخلافة – إليه لترك كثيرًا مما هو فيه.

اطمأنت نفس الصديق بعد أن استشار كبار الصحابة إلى اختيار عمر بن الخطاب خليفة من بعده، فأشرف على الناس وهو مريض، وقال: «أترضون بمن أستخلف عليكم؟، فإني والله ما آلوت من جهد الرأي، ولا وليت ذا قربة، وإني قد ولّيت عليكم عمر بن الخطاب، فاسمعوا له وأطيعوا» فقالوا: سمعنا وأطعنا. بايع المسلمون عمر بن الخطاب وبذا أصبحت خلافته شرعية.

وبعد الفراغ من دفن أبي بكر الصديق صعد عمر منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ووقف على درجة أدنى من الدرجة التي كان يقف عليها الصديق، فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم، وذكر أبا بكر رضى الله عنه بكل خير، وقال: «أيها الناس ما أنا إلا رجل منكم، ولولا أني كرهت أن أرد أمر خليفة رسول الله ما تقلّدت أمركم»، فأثنى المسلمون عليه خيرًا، وزاد ثناؤهم حين رأوه يرفع بصره إلى السماء ويقول: «اللهم إني غليظ فليّنِّي، اللهم إني ضعيف فقوني، اللهم إني بخيل فسخِّني».

وفى اليوم التالي لتوليه الخلافة خطب خطبة أخرى أراد أن يوضح فيها طريقته في الحكم، ويزيل ما قد علق في نفوسهم من خوفٍ من شدته التي صرحوا بها لأبي بكر حين رشحه للخلافة، فقال: «بلغني أن الناس هابوا شدتي وخافوا غلظتي .. فاعلموا أن تلك الشدة قد أضعفت – أي زادت – فارتعد بعضهم من الخوف لكنه طمأنهم فقال: ولكنها إنما تكون على أهل الظلم والتعدي على المسلمين، فأما أهل السلامة والقصد – أي الاعتدال – فأنا ألين لهم من بعضهم على بعض، ولست أدع أحدًا يظلم أحدًا أو يتعدى عليه حتى أضع خده على الأرض، وأضع قدمي على الخد الآخر، حتى يذعن بالحق، وانى بعد شدتي تلك أضع خدي على الأرض لأهل العفاف وأهل الكفاف، ولكم على أيها الناس خصال أذكرها لكم، فخذوني بها، لكم على ألا أجبي شيئًا من خراجكم، ولا ما أفاء الله عليكم إلا من وجهه، ولكم على إذا وقع في يدي ألا يخرج مني إلا في حقه، ولكم عليّ أن أزيد عطاياكم وأرزاقكم إن شاء الله– تعالى – وأسد ثغوركم، ولكم على ألا ألقيكم في المهالك، وإذا غبتم في البعوث فأنا أبو العيال – أي يرعاهم – فاتقوا الله عباد الله وأعينوني على أنفسكم بكفها عني، وأعينوني على نفسي بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وإحضاري النصيحة فيما ولّاني الله من أمركم، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم».

ثانيا: أهم الأحداث التاريخية في خلافة الفاروق.

1.الفتوحات في الجبهة الشرقية:

– مواصلة فتح العراق:بعد أن رحل خالد بن الوليد من العراق إلى الشام؛ ليتولى قيادة الجيوش في اليرموك؛ تنمَّر الفرس بالمثنى بن حارثة خليفة خالد على قيادة الجيش في العراق و بدؤا في الضغط عليه، فطلب مددًا من أبي بكر، الذي كان مشغولا بحرب الروم.

فلما تأخر رد الصديق أبي بكر على المثنى جاء بنفسه ليعرف سبب ذلك، فوجد الخليفة على فراش المرض، فلم يستطع أن يكلمه، ولما علم بذلك الخليفة أدرك أن المثنى لم يأت إلا لضرورة، فكان أخر كلامه لعمر بن الخطاب أن أوصاه بتجهيز جيش، يرسله مع المثنى إلى العراق لصد عدوان الفرس، فعمل عمر بوصية أبي بكر، وأرسل جيشًا على الفور إلى العراق بقيادة أبي عبيد بن مسعود الثقفي.

- **موقعة الجسر**: وفي شهر شعبان من سنة 13هـ خاض أبو عبيد بن مسعود معركة ضد الفرس سميت بموقعة الجسر، لأن المسلمين أقاموا جسرًا على نهر الفرات لعبور قواتهم البالغة تسعة آلاف جندي، وكان عبورهم النهر خطأ عسكريًا جسيمًا وقع فيه أبو عبيد، ولم يستمع إلى نصيحة قادة جيشه ومنهم المثنى بن حارثة الذين نبّهوه إلى خطورة ذلك، وأن موقف المسلمين غربي النهر أفضل وضع لهم، وليتركوا قوات الفرس تعبر إليهم، فإذا انتصروا كان عبور النهر إلى الشرق أمرًا سهلا، وإذا انهزموا كانت الصحراء وراءهم يتراجعون فيها ليعيدوا ترتيب أوضاعهم، لكن أبا عبيد لم يستجب لهم، فحلّت الهزيمة بالمسلمين على يد القائد الفارسي (بهمن جاذويه)، وقُتل أبو عبيد نفسه واستشهد أربعة آلاف مسلم.

- **موقعة البويب**: بذل المثنى بن حارثة جهدًا كبيرًا في تأمين عبور من بقي من قوات المسلمين إلى الناحية الأخرى، وأدرك أنه لابد من خوض معركة أخرى مع الفرس، حتى لا تؤثر الهزيمة في معنويات المسلمين، وبخاصة أنها كانت أول مرة يهزمون فيها في هذه الجبهة منذ أن بدأت الفتوحات. استدرج المثنى بن حارثة قوات الفرس للعبور إلى غرب النهر، فعبروا إليه مدفوعين بنشوة النصر السابق، وظنوا أن تحقيق نصر آخر سيكون أمرًا سهلا، لكن المثنى فاجأهم بعد أن استثار حمية العرب القاطنين في المنطقة، وأوقع بالفرس هزيمة كبيرة على حافة نهر يُسمى (البويب) الذي سميت المعركة باسمه. وعلى الرغم من هذا النصر الذي أعاد به المثنى الثقة إلى قواته فإنه أدرك بعد طول تجربة أنه لن يستطيع بمن معه من قوات أن يواجه الفرس الذين ألقوا بثقلهم كله في الميدان، فتراجع إلى الخلف، ليكون بمأمن من هجمات الفرس، وأرسل إلى الخليفة عمر يخبره بحقيقة الموقف.

- **معركة القادسية**: لما وصلت إلى عمر بن الخطاب تقارير المثنى عن الوضع في جبهة العراق عزم على الخروج بنفسه على رأس جيش كبير، لينسي الفرس وساوس الشيطان كما أنسى خالد بن الوليد الروم تلك الوساوس، لكن الصحابة لم يوافقوه على رأيه، ورأوا أن الأفضل أن يبقى هو في المدينة يدير أمور الدولة، ويشرف على تجهيز الجيوش، ويختار واحدًا لقيادة الحرب ضد الفرس، فقبل نصيحتهم، وقال لهم: أشيروا عليّ، فأشاروا عليه بسعد بن أبي وقاص، وقالوا عنه: هو الأسد في عرينه، فاستدعى سعدًا وأمَّره على الجيش، فاتجه به سعد إلى العراق حيث عسكر في القادسية. وقبل نشوب المعركة أرسل سعد وفدًا إلى بلاط فارس، ليعرض الإسلام على (يزدجرد الثالث) آخر ملوكهم، فإذا قبله فسيتركونه ملكًا على بلاده، كما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم (باذان) ملكًا على اليمن، وإذا رفض الدخول في الإسلام فلن يكرهه عليه أحد، ولكن لابد من دفع الجزية دليلا على عدم المقاومة، فإذا امتنع عن دفعها حاربوه. لم يقبل الملك هذا العرض في كبرياء، ثقة منه بقدرة جيوشه بقيادة (رستم) على سحق هؤلاء العرب، فاستعد سعد بن

أبي وقاص للمعركة الحاسمة. وفي القادسية دارت رحى الحرب بين الفريقين واستمرت ثلاثة أيام ونصف اليوم الرابع، وأسفرت عن نصر حاسم للمسلمين وهزيمة منكرة للفرس، وقتل قائدهم رستم، وتشتيت من نجا منهم من القتل.

وتُعد معركة القادسية من المعارك الفاصلة في التاريخ؛ لأنها حسمت أمر العراق العربي نهائيا وأخرجته من السيطرة الفارسية التي دامت قرونًا، وأعادته إلى أهله العرب المسلمين، كان ذلك سنة 15هـ.

– **فتح المدائن**: انفتح الطريق أمام المسلمين بعد انتصارهم في القادسية إلى (المدائن) عاصمة الفرس، فعبر سعد نهر دجلة من أضيق مكان فيه بنصيحة سلمان الفارسي، ودخل المدائن؛ ليجد الملك الفارسي قد فرَّ منها، وكان قبل أيام قليلة يهدد المسلمين ويتوعدهم من قصره الأبيض، مقر ملك الأكاسرة، الذي كان آية من آيات الفخامة والبهاء. وفي ذلك القصر صلى سعد صلاة الشكر لله على هذا الفتح العظيم وتلا في خشوع قول الله تعالى: { **كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (25) وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ (26) وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ (27) كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ (28) فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ (29)**}. الدخان. أرسل سعد إلى عمر بن الخطاب رسولا يبشره بالنصر وبما حازوه من غنائم.

– **معركة نهاوند** :اعتقد عمر بن الخطاب أن الفرس سيجنحون إلى السلام بعد هزيمتهم في القادسية، واسترداد المسلمين العراق وهي أرض عربية، لكن الحوادث كثيرًا ما تكون أقوى من الرجال، وتدفعهم دفعًا إلى تعديل سياساتهم، فقد وردت الأنباء إلى عمر أن الفرس التفوا حول ملكهم الذى هرب من (المدائن)، واحتشدوا في جموع هائلة في نهاوند تصل إلى نحو مائتي ألف جندي بقيادة الفيرزان. وكانت سياسة عمر بن الخطاب أن يقف بالفتوحات الإسلامية عند حدود العراق والشام، ولا يتعداها، حيث قبائل العرب التي نزحت من شبه الجزيرة العربية وأقامت هناك، أما ما وراء ذلك من أرض الفرس والروم فلم يكن للمسلمين مطمع في غزوه وفتحه، ولكن ليس كل ما يتمناه المرء يدركه، فقد حملت حوادث الفتوحات وتطوراتها الخليفة عمر على تعديل سياسته تجاه الفرس والروم.

ولما وصلت أخبار استعداد الفرس جمع عمر كبار الصحابة واستشارهم في كيفية مواجهة هذا الموقف، فأشاروا عليه بتجهيز جيش لردع الفرس قبل أن ينقضوا على المسلمين في بلادهم، فعمل بمشورتهم، وجهز جيشًا قوامه نحو أربعين ألف مجاهد تحت قيادة النعمان بن مقرن. ودارت معركة نهاوند وانتهت بنصر عظيم للمسلمين، وهزيمة ساحقة للفرس، وقد سمى المؤرخون المسلمون هذ النصر (فتح الفتوح)، لأن الفرس قد تفرقت كلمتهم، وانفرط عقد دولتهم بهذا النصر. كان هذا سنة 21هـ.

– **الإنسياح في بلاد فارس**: كانت معركة نهاوند من المعارك الفاصلة في التاريخ، فقد أزالت نهائيًا الإمبراطورية الفارسية بعد معركتي القادسية و نهاوند، ولم تقم لها قائمة بعد ذلك. وبعد نهاوند عقد عمر العزم على القضاء تمامًا على التهديد الفارسي للدولة الإسلامية ودعوتها، فأعد تسعة جيوش في وقت واحد، لفتح جميع المقاطعات الفارسية، من خراسان إلى أذربيجان إلى مكران .. وفي خلال سنة (22هـ) كانت تلك المقاطعات كلها تحت السيادة الإسلامية، ولم يجبر المسلمون أحدًا من سكانها على الدخول في الإسلام، وإنما قبلوا منهم الجزية، وأعطوهم معاهدات، ضمنوا لهم بمقتضاها حرية العبادة، وحفظوا لهم أنفسهم وأموالهم.

وبدأ تاريخ جديد لبلاد فارس، ذاقت فيه طعم الحرية والعدل؛ وعرفت معنى المساواة، وتحررت من استبداد الأكاسرة وظلمهم.

2.الفتوحات في الجبهة الغربية:

–استكمال فتح الشام: بعد تولى عمر بن الخطاب الخلافة عزل خالد بن الوليد من قيادة جيوش الشام، وأعاد أبا عبيدة بن الجراح إليها، وجعل خالداً تحت قيادته، وقد قبل القائد البطل هذا التعديل دون تذمر، لأنه كان جنديًا يعمل للإسلام لا لمجده الشخصي، وإذا كان قد احتل المكان الأعلى بين قادة الفتوحات ببطولاته وانتصاراته، فإنه اعتلى ذروة أعلى بقبوله العزل، وضرب أروع الأمثلة في الانضباط والطاعة، وتلك أهم صفات القادة العظام.

وكانت تعليمات عمر لأبي عبيدة بعد اليرموك، أن تعود الأمور إلى ما كانت عليه من قبل في مطلع فتح الشام، حين رتب ذلك أبو بكر الصديق، فيسير أبو عبيدة ومعه خالد بن الوليد إلى حمص، و يزيد بن أبي سفيان إلى دمشق، وشرحبيل بن حسنة إلى الأردن، وعمرو بن العاص إلى فلسطين، وكل قائد يكون أميرًا على منطقته التي يفتحها، على أن يكون ذلك بعد أن يشتركوا جميعًا في فتح دمشق. وبعد أن نجح القادة جميعهم في فتح دمشق وأعطوا أهلها معاهدة صلح بقي يزيد بن أبي سفيان أميرًا عليها، في حين اتجه القادة الباقون إلى مناطقهم، وفي خلال عامين فقط تم فتح الشام كله.

وفى سنة 15هـ جاء عمر بن الخطاب إلى فلسطين؛ ليتسلم مفاتيح بيت المقدس من البطريرك (صفرونيوس)، وأعطى معاهدة لأهلها هي آية في التسامح والعدل، أمّنهم على عقائدهم وأموالهم وأنفسهم، وأخذت منهم نظير ذلك الجزية لرفضهم الدخول في الإسلام. وقد رفض الخليفة عمر بن الخطاب أن يصلي في كنيسة القيامة، معللا ذلك بخوفه أن يأتي من المسلمين من يقول: لقد صلى عمر في الكنيسة فهي من حقنا، وهذا ظلم للمعاهدين لا يقره عمر.

–فتح مصر: بعد فتح بيت المقدس اتجه عمر إلى الشمال، وعقد في الجابية جنوبي دمشق مؤتمرًا حضره جميع القادة المسلمين، ناقش فيه ما تم إنجازه والترتيبات اللازمة لإدارة البلاد المفتوحة إدارة حسنة، والعمل على إشاعة العدل والحرية بين الناس بعد الظلم والاستبداد والاستعباد الذى ذاقوه من الروم. وفي هذا المؤتمر عرض عمرو بن العاص والي فلسطين على عمر بن الخطاب ضرورة فتح مصر، لأن فلول قوات الروم في الشام لجأت إلى مصر التي كانت في ذلك الوقت تحت حكم الروم، كما لجأ (الأرطبون) قائد قواتهم في فلسطين إلى مصر؛ ليستعد من جديد للانقضاض على المسلمين في الشام، ولذا فإن بقاء مصر في أيدى الروم سيكون خطرًا على فتوحات المسلمين في الشام، بل قد يصل الخطر إلى شبه الجزيرة العربية نفسها.

ولما اقتنع عمر بما أبداه عمرو بن العاص أذن له بالسير إلى مصر لفتحها، فخرج في أربعة آلاف جندي، ودخل العريش دون قتال، ثم توجه إلى الفرما (مدينة قديمة شرقي بور سعيد) ففتحها بعد معارك يسيرة مع حاميتها الرومية، ثم توجه إلى بلبيس في محافظة الشرقية الحالية، فهزم جيشًا روميا كان يقوده الأرطبون، ثم هزم الروم مرة أخرى في عين شمس .

ولما تجمعت قوات الروم كلها في (حصن بابليون) بالقرب من مصر القديمة الحالية؛ طلب عمرو مددًا من الخليفة عمر، فأمده بثمانية آلاف جندي، مكنته من فتح الحصن والاستيلاء عليه، ثم اتجه إلى الإسكندرية ففتحها، وأرسل فرقة من قواته لفتح الفيوم. وفى نحو عامين (19 – 21هـ) فتُحت مصر بأكملها، وكان فتحًا سهلا ويسيرًا، لأن القبط لم يشتركوا في معارك ضد المسلمين، بل ساعدوهم

وقدموا لهم يد العون، فدلوهم على أيسر الطرق، وأمدوهم بالطعام، تخلُصًا من حكم الروم الذين اضطهدوهم دينيا، مع أنهم مسيحيون مثلهم، وأرهقوهم بالضرائب، واستغلوهم أبشع استغلال.

ولما تعامل أهل مصر مع الفاتحين المسلمين أدركوا أن ما سمعوه كان حقيقة، فقد منحوهم الحرية الدينية الكاملة.

وقد أتاح الفتح الإسلامي لمصر جوا من الحرية والتسامح لم تشهده البلاد منذ زمن بعيد، بنص المعاهدة التي أعطاها عمرو بن العاص لأهل مصر: «بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أعطى عمرو بن العاص أهل مصر من الأمان على أنفسهم وملتهم وأموالهم وكنائسهم وصلبهم وبرهم وبحرهم، لا يدخل عليهم شيء من ذلك ولا ينتقص.. وعلى أهل مصر أن يعطوا الجزية.. ومن دخل في صلحهم من الروم والنوب، فله مثل ما لهم، وعليه مثل ما عليهم، ومن أبى واختار الذهاب فهو آمن حتى يبلغ مأمنه..».

وقد عمل المسلمون بوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم التي أوصاهم فيها بأهل مصر خيرًا عندما يفتحونها؛ لأن لهم ذمة ورحمًا، كما نصحهم أن يتخذوا منها جندًا كثيفًا، فأجنادها من خير أجناد الأرض، لأنهم وأزواجهم في رباط إلى يوم القيامة.

–استشهاده: رأى عمر في المنام أن ديكا نقره نقرة أو نقرتين وأوّلها بحضور أجله، وقد جاء في سبب قتله أن غلاما مجوسيا كنيته أبولؤلؤة (وقد أُسِرَ في معركة نهاوند ووقع من نصيب المغيرة بن شعبة) قد جاء إلى عمر يشكو شدة الخراج وكثرته، فقال له عمر: ما خراجك بكثير. فانصرف ساخطا.. ثم عاد في يوم آخر وقد أضمر له القتل.. وفي يوم الأربعاء الموافق 26 من شهر ذي الحجة سنة 23هـ وبينما عمر يسوِّي صفوف المسلمين في صلاة الفجر كعادته كل يوم، وبدأ ينوي مكبرًا للصلاة، إذا بأبي لؤلؤة المجوسي يسدد للخليفة عدة طعنات بخنجر مسموم، فقطع أمعاءه، وسقط مغشيًا عليه، وما زال القاتل يطعن كل من دنا إليه حتى ألقى أحدهم عليه ثوبا، فلما تقيد قتل نفسه بخنجره. حمل المسلمون الخليفة إلى بيته، وظل فاقد الوعي فترة طويلة، فلما أفاق سأل: من الذى قتلني؟ قالوا: أبو لؤلؤة المجوسي قال: "الحمد لله الذى جعل منيتي على يد رجل كافر، لم يسجد لله سجدة واحدة يحاجني بها عند الله يوم القيامة."

–تفكير عمر في أمر الخلافة ووفاته: أيقن عمر بن الخطاب بعد طعنه أنه لم يبق من عمره سوى ساعات، وكذلك أيقن المسلمون، ولذا ألحوا عليه أن يختار لهم من يخلفه فيهم، فرشَّح لهم ستة من الصحابة، هم بقية العشرة المبشرين بالجنة، يختارون من بينهم واحدًا للخلافة، ومع أن ابن عمه سعيد بن زيد بن عمرو بن نُفيل واحد من العشرة المبشرين بالجنة، فقد استبعده من الترشيح، خوفًا أن يقع عليه الاختيار لقرابته منه، كما استبعد ابنه عبد الله من الترشيح تمامًا، وهؤلاء الرهط هم: على بن أبى طالب، وعثمان بن عفان، والزبير بن العوام، وسعد بن أبى وقاص، وعبد الرحمن بن عوف، وطلحة بن عبيد الله.

ثم أرسل إلى عائشة رضي الله عنها يستأذنها ان يدفن مع صاحبيه فقالت: «كنت والله أريده لنفسي – أي المكان – ولأوثرنه به اليوم على نفسي»، فلما أخبر حمد الله تعالى. وفى اليوم التالي لطعنه –أي يوم الخميس سنة 23هـ– فاضت روح عمر الفاروق بعد أن قضى في الخلافة عشر سنوات وبضعة شهور، وصلى عليه صهيب الرومي رضى الله عنه. وبعدها اجتمع الرهط، وبعد المشورة وتنازل البعض للبعض واختير عثمان بن عفان رضى الله عنه خليفة للمسلمين.

ثالثا: العبر والعظات.

1. تم تنصيب خليفة أبي بكر على مبدأ الشورى من أهل الحل والعقد، دليل ذلك ان أبا بكر لم يفرض على المسلمين عمرا، بل عرض الأمر على المسلمين أولا ، ولما عجزوا عن الاختيار في تلك المدة القصيرة أرجعوا الأمر إليه، وبعد المشاورة استقر الرأي على جدارة الفاروق لهذه المرحلة.
2. تميزت خلافة الفاروق بكثرة الفتوحات الإسلامية واتساع الرقعة الجغرافية الى أقصى بلاد الفرس والمغرب، وتم فيها تشييد المدن والعواصم وتدوين الدواوين، وأصبحت الدولة الإسلامية دولة قائمة على دعائم الإسلام والعدل والقوة .
3. شهدت هذه الفترة معارك فاصلة مع الروم والفرس كالقادسية ونهاوند.الخ..
4. بهذه الفتوحات استطاعت الدولة الإسلامية في زمن الفاروق أن تسترجع أراضي كانت تدين لله بالوحدانية كالشام والعراق ومصر..
5. الأخلاق العالية والعلاقة الطيبة التي كانت بين الصحابة الرضوان، فقد كان عليا مستشارا ووزيرا للخليفة عمر، وقد نصحه بعدم الخروج لقتال الفرس مخافة عليه.
6. اشتركت في جريمة قتل الخليفة عمر أيادي فارسية ، ويهودية ، ونصرانية.. وأما القاتل "أبو لؤلؤة" فلم يكن سوى سببا مباشرا وأداة لارتكاب الجريمة.
7. حقوق أهل الذمة في ظل الدولة الإسلامية (زمن الفاروق):
   - عدم تعرض المسلمين للكنائس بسوء.
   - حفظ صلبانهم.
   - إعطاء الأمان لأنفسهم وأموالهم.
   - لا تمنع تجاراتهم.
   - دفع الجزية في حالة الصلح أو الهدنة.
8. خُلو الدولة الإسلامية من الفتن والقلاقل في هذه الفترة، وهذا ما أشار إليه الحبيب المصطفى فيما رواه عثمان بن مظعون قال: مر بنا عمر رضي الله عنه ونحن جلوس عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «هذا غلّق باب الفتنة، لا يزال بينكم وبين الفتنة باب شديد الغلق ما عاش هذا بين أظهركم – أو ظهرانيكم- »

9.ملحق حول عبقرية عمر في إدارة الدولة:

تجلت عبقرية عمر بن الخطاب أعظم ما تجلت في ميادين الإدارة، فقد ضبط نظم الدولة الإسلامية وكانت مترامية الأطراف، وأحكم إدارتها بمقدرة فائقة تثير الدهشة والإعجاب، في وقت كانت فيه وسائل الاتصال بطيئة تمامًا. ويصعب على أي باحث أن يحيط بالجوانب الإدارية، ولذا سنتعرض لبعض منها:

أولا: عمر واختيار الولاة:

استعان عمر برجال يديرون شؤون الولايات البعيدة عنه، أما القريبة منه فكان يديرها بنفسه، وكان يقول: «ما يحضرني من أموركم لا ينظر فيه أحد غيري، أما ما بعد عني فسوف أجتهد في توليته أهل الدين والصلاح والتقوى، ثم لا أكتفى بذلك، بل لابد من متابعتهم؛ لأعرف هل يقومون بالعدل بين الناس أم لا؟». وكان لعمر بن الخطاب طريقة في اختيار ولاته، فلم يكن يستعمل أحدًا من أهل بيته، وقلما استعمل كبار الصحابة على الأمصار، بل استبقاهم معه في المدينة ليعينوه في شؤون الدولة، ويقدموا له المشورة، ومن أهم شروط عمر في الوالي:

- القوة والأمانة: والمقصود بالقوة قوة الدين، وقوة الإرادة والحزم في الأمور، ومن أقواله المأثورة: "إني لأتحرج أن أستعمل الرجل وأنا أجد أقوى منه".
- الهيبة مع التواضع: أدرك عمر حاجة ولي الأمر إلى الهيبة واحترام الناس، حتى يستطيع أن يقودهم، ولكن لا ينبغي لها أن تتجاوز الحد لتصبح تسلطًا وتعاليًا.
- الرحمة بالناس: كان الخليفة عمر يختار للولاية من اشتهر بالرحمة ولين الجانب وحب الخير للناس، وحين كان يولي أحدًا يكتب له كتاب تولية، ويشهد عليه بعض الصحابة، ويشترط عليه ألا يظلم أحدًا في جسده ولا في ماله، ومن وصاياه لعماله: «ألا وإني لم أبعثكم أمراء ولا جبارين، ولكن بعثتكم أئمة الهدى، يهتدى بكم فادرءوا على المسلمين حقوقهم، ولا تضربوهم فتذلوهم، ولا تغلقوا الأبواب دونهم، فيأكل قويهم ضعيفهم، ولا تستأثروا عليهم فتظلموهم، ولا تجهلوا عليهم».

ثانيًا: قواعد العمل بالنسبة إلى العمال والولاة:

لم يكن عمر يقنع بحسن اختيار الولاة وفق شروطه، وإنما كان يحدد لهم أسلوب العمل، والقواعد التي يسيرون عليها، إما في صورة خاصة محددة كما كان يحدث في عهد الولاية، وإما في توجيهات عامة كما في المؤتمرات التي كان يعقدها للعمال والولاة، وبخاصة في موسم الحج.

ثالثًا: المتابعة: فطن عمر إلى فاعلية المتابعة، وأثرها في حسن سير الإدارة، ولذا لم يكتفِ بالتدقيق في اختيار الولاة، وإنما وضع عليهم العيون والأرصاد، يحصون عليهم حركاتهم وسكناتهم، ويسجلون أعمالهم وينقلونها إلى الخليفة فور وقوعها، لأنه أدرك أن الخطأ قد يقع بدون قصد، وأن الانحراف لا يبدأ كبيرًا، وأن كل شيء يمكن وقفه في أوله قبل استفحاله، عملا بالحكمة الخالدة: «الوقاية خير من العلاج ».

رابعًا: سياسة الباب المفتوح: أدرك عمر بن الخطاب أن آفة الإدارة في كل عصر هي احتجاب كبار المسئولين عن أصحاب الحاجات فتضيع مصالح الناس أو تتعطل، ولذا لم يكن يتهاون مع أي أمير أو والٍ يسمع أنه يحتجب عن الناس مهما يكن شأنه.

خامسًا: المؤتمرات العامة:

ابتكر عمر عقد المؤتمرات العامة لمناقشة أمور الدولة، حتى يتيح لأكبر عدد من المسلمين المشاركة في صنع السياسة والقرار بالحوار والمشاورة، فاهتدى إلى استثمار مناسبة الحج، وتجمع الناس في البلد الحرام، وقرر أن يحج كل عام وأن يحج معه كل ولاة الأمصار، وهناك يدور النقاش والحساب مع الولاة عما صنعوا في عامهم الذى مضى، وما ينوون عمله في العام القادم، وفوق ذلك تكون تقارير عيونه بين يديه قبل مجيء الولاة، بحيث تكون أمورهم كلها واضحة، ولا يستطيع أحد منهم أن ينكر شيئًا، ولما كانوا يعرفون ذلك فإنهم حرصوا على أن تكون سجلات أعمالهم نظيفة، فالخليفة لا يتهاون في حساب المقصر أو من تثبت عليه مخالفة لشرع الله.

سادسًا: محاسبة الولاة والأمراء:

دأب عمر بن الخطاب على محاسبة كل والٍ مقصر، أو من يشتبه أنه قصر في عمله، لا يمنعه من ذلك كون الوالي كبير القدر أو صاحب سابقة في الإسلام، وقلما نجا والٍ من ولاته من المحاسبة، وإذا كان الجرم صغيرًا يمكن إصلاحه؛ اكتفى بالتوبيخ، ورد الوالي إلى عمله

سابعًا: القدوة الحسنة:

أدرك عمر أثر القدوة في سياسة الناس، وأن عليه أن يعلم الناس بأعماله قبل أن يعلمهم بأقواله. وكثيرًا ما كان يردد للناس قوله: «سأسوككم بالأعمال وليس بالأقوال»، وأن الرعية مؤدية إلى الإمام ما أدى الإمام إلى الله، فإن رتع الإمام رتعوا. وكان عمر قدوة في حياته الخاصة، يعيش كما يعيش عامة الناس دون تميز، وحين فرضوا له عطاءً (راتبًا) من بيت مال المسلمين، ليعول منه أسرته قدروا له راتبًا يمكنه من معيشة رجل من أوسط الناس، لا أغناهم ولا أفقرهم. وفوق ذلك هو يشارك المسلمين ويواسيهم إذا أصابهم ضر، كما حدث في عام الرمادة المشهور سنة (18هـ) الذى أصاب الناس فيه مجاعة شديدة في شبه الجزيرة العربية لقلة الأمطار، فكان يجلب إليهم الأقوات من الأمصار، ويأكل مما يأكله الناس، حتى ساءت صحته، فنصحه بعض أصحابه بأن يحسِّن من طعامه، ليقوى على العمل وإنجاز مصالح المسلمين، لكنه أجاب بقوله: «كيف يعنيني شأن الرعية إذا لم يصبني ما أصابهم؟». ولا شك أن ما عبر عنه الخليفة عمر هو مفتاح الحكم الصالح في كل عصر وزمان فيوم يحس الحاكم بإحساس شعبه فسوف يستقيم الحكم، وينصلح حال الرعية، ويوم ينفصل الحاكم عن شعبه، وتكون له حياته الخاصة، فحينئذٍ ينفتح باب الفساد.

وقد حرص عمر على أن يجعل من أبنائه وأهله قدوة كذلك، فأخذهم بما أخذ به نفسه، لأنه الناس ينظرون إليهم، وكان يقول لهم إذا عزم على أمر يهم المسلمين: «لقد عزمت على كذا وكذا، أو نهيت الناس عن كذا وكذا، وأقسم بالله لو خالفني أحد منكم لأضاعفن له العقوبة». بهذه الإجراءات حصن عمر الفاروق نفسه وأولاده وكل من يلوذون به ضد أية انحرافات أو إغراءات، فأطاعه المسلمون وأحبوه سواء أكانوا أمراء أم من عامة الناس، ولم يعرف التاريخ رجلا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر الصديق أطاعه كبار الأمراء وصغارهم كما أطاعوا عمر بن الخطاب، لا لهيبته في عيونهم فحسب، بل للقدوة الحسنة في حياته وانضباطه الشديد، ولهذا كله احتل مكانة عالية في التاريخ الإنساني.

عدل عمر بن الخطاب: لم ترتبط صفة من صفات عمر الكثيرة باسمه كما ارتبطت به صفة العدل، فإذا ذُكر عمر ذكر الناس عدله، الذى كان لا يفرّق بين قريب وبعيد، أو كبير وصغير، أو صديق وعدو، والأخبار المتواترة في ذلك أكثر من أن تحصى

إحساسه بالمسئولية: بلغ من شدة إحساس عمر بالمسئولية أنه لم يكتفِ بأن يكون مسئولا عن حياة البشر الذين يعيشون في دولته، بل مسئولا عن البهائم والدواب أيضًا. وذلك في مقولته الشهيرة: «والله لو أن بغلة عثرت بشط الفرات لكنت مسئولا عنها أمام الله، لماذا لم أعبّد – أسوي – لها الطريق». وأعمال عمر العظيمة من الفتوحات واستكمال بناء الدولة ومؤسساتها لم تشغله عن متابعة أحوال الناس وتفقدها؛ ليقف على أوجه النقص ليتلافاها أولا بأول، فكان كثير الطواف ليلا بالمدينة، وسمع ذات ليلة طفلا يبكى بكاء مستمرا، فسأل عن أمره، فعرف أن أمه منعت عنه الرضاع، لأنه لا يُفرض عطاء من بيت المال إلا للأطفال المفطومين، فانزعج عمر، وأصدر أوامره أن يفرض عطاء لكل مولود في الإسلام، ونادى مناديه: "لا تعجلوا فطام أولادكم."

إصلاحات عمر بن الخطاب وإنشاءاته:

لعمر بن الخطاب كثير من الإصلاحات والإنشاءات التي لم يُسبق إليها، وسماها مؤرخو سيرته «أوليات عمر»، فهو أول من سُمى أمير المؤمنين، وأول من اتخذ حادث الهجرة مبدأ التاريخ للدولة الإسلامية، بعد أن استشار في ذلك كبار الصحابة، وهو أول من اتخذ بيت المال، وهو يشبه خزانة الدولة، وأول من مصَّر الأمصار، أي بنى مدنًا جديدة كالبصرة و الكوفة في العراق، والفسطاط – حي مصر القديمة حاليا – في مصر، وأول من وسَّع مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأدخل فيه دار العباس بن عبد المطلب، وفرشه بالحصباء، أي الحجارة الصغيرة، وكانوا قبل ذلك يصلون على التراب. وهو أول من دوَّن الدواوين، وهى تشبه الوزارات في الوقت الحاضر، وقد اقتبس هذا النظام من الفرس والروم، فأنشأ ديوان العطاء، وكان مختصًا بالعطاء الذى فرضه عمر للمسلمين، وأنشأ ديوان الجند – وزارة الدفاع حاليًا – و ديوان الخراج – وزارة المالية– و نظام البريد الذى كان يُستخدم في أمور الدولة. ومن أعظم اجتهاداته إبقاؤه الأرض المفتوحة فى أيدى أهلها يزرعونها، ويدفعون خراجًا –إيجارًا – للدولة، تنفق منه على الجيش والمرافق العامة، كما أمر بإعادة مسح الأرض – أي قياسها واختبارها – ووضع الخراج المناسب عليها. حسب جودة الأرض. وهو أول من قنن الجزية على أهل الذمة، فوضع على الأغنياء ثمانية وأربعين درهما للفرد الواحد في السنة، وعلى متوسطي الحال أربعة وعشرين درهمًا، وعلى الفقراء القادرين على الكسب اثنى عشر درهمًا، وأعفى منها الشيوخ والنساء والأطفال ورجال الدين والعاجزين عن الكسب، وقد سبق القول إنه فرض للعاجزين عن الكسب من أهل الذمة عطاءً من بيت المال.

وكما ترك عمر بن الخطاب الأرض لأهلها يزرعونها؛ ترك معظم الدواوين – وبخاصة ديوان الخراج – في أيدى أبناء البلاد المفتوحة يزاولونها بلغاتها؛ لأن ترك تلك الأعمال في أيدى أبناء البلاد المفتوحة كان مبعث ارتياح لهم، فاطمأنوا للحكم الإسلامي، بل أخذوا يعتنقون الإسلام، ويتعلمون اللغة العربية.